قنصتْ غزالتُهُ والتفتْ الى أختها فاحتمت بالدجى

قال المصنف : فصحَّ عندي انَّ هذا هو قانونها على الخصوص وانَّ الجميع لصوص. (قال) وقد قرأت كتاب اللصوص للجاحظ فلم اسمع فيه بأنَّ ثلاثة لصوص اجتمعوا بالاتفاق الظريف على بيتٍ واحد

(الباقية)

الشواهد الصادقة في افواه الملحدين والزنادقة

للمرحوم الاب لويس رنزفال اليسوعي (تتمَّة)

٣ الانجيل وصحَّتهُ

انَّ السيد المسيح لم يَحْيَ فماذا نقول عن كلامه وانما تكلَّم وعلَّم ايضاً كإلهٍ. وكلامهُ مدوَّن في اربعة اناجيل اثنان منها لشاهدين عيانيَّين واثنان لتلميذين من تلامذة رسله. وهذه الكتب كباقي اعمال وتعاليم السيد المسيح قد قام رجال كفوة مكابرون للحقّ فناقضوها. وعلى الرغم منهم لا تزال في نورها الباهر يستضيء بها العالم ولا تُعمي غير ذوي العَشا وضعف البصر. بل أرغم الحقّ الملحدين والزنادقة منذ اوائل الكنيسة بالاقرار بصحَّتها كالمبتدع تاطيانس والفيلسوف قلسوس في القرن الثاني للميلاد. وهنا نكتفي باعتراف الملحدين العصريين

قال اللورد بَيرون (Byron) في الاسفار المقدَّسة اجمالاً : « انَّ من يفتح هذا الكتاب ليستهزئ به او ليجدّف عليه فانَّهُ لأولى به لو لم ينظر النور بمولده »

ومن عجيب اقوال ذاك الملحد الكبير جان جاك روسو وصيف ڤولتير ما كتبهُ عن الانجيل : « انَّ قداسة الانجيل تنطق لقلبي . . . ألا فانظر كتب الفلاسفة فما أسخفها بالنسبة الى هذا الكتاب »

وقال في كتابه اميل (Emile, IV) :

أفنقول انّ اخبار الانجيل قد اختُرعت جُزافاً . لا تقل يا صاح فان الاختراع لا يكون على هذه الصورة فانّ ما يرويه التاريخ عن سقراط مما لا يشكّ به احد وهو مع ذلك دون صحّة اعمال المسيح المشهود لها . . . انّ في الانجيل سمات من الحق مؤثرة وفائقة على كل ترويز بحيث لو صحّ اختراعها لقلنا انّ المخترع اكبر من بطله . . . يحيرات ان يقال ان بعض كتبة من اليهود تمكنوا من تلقاء نفسهم ان يكتبوا كما كتبوا ويضعوا كتابهم تعاليم ادبية كتعاليمه»

وهذا رنان بعد ان جيّش جيوش انكاره وافرغ كنانة جهده ليدكّ دعائم الانجيل في كتابه « حياة يسوع » لم يسعه إلّا ان يقرّ بصحة الانجيل قائلاً (Vie de Jésus, p. 23) : «وخلاصة القول اني اقبل الاناجيل القانونية واقرّ بصحّتها . وكلها (اي الاربعة) ترتقي الى القرن الاوّل من المسيح»

ولم يخالفهُ ڤولتير في بعض اقراراته هو ورصفاؤهُ في تلك دائرة المعارف التي نصبوها كقذائف حربية لمحاربة الكنيسة ولذا قال فكتور هوغو عن ڤولتير (Les Rayons et les Ombres. IV) انهُ كان «قرداً من التوابع» (ce singe de génie) وانّ « الشيطان ارسلهُ ليبثّ روحهُ على الارض »

Chez l'homme en mission par le diable envoyé

وكان ديدرو (Diderot) تلميذهُ مع رشقهِ بسهامهِ للانجيل لم يأنف من وضعهِ في ايدي ابنتهِ لتتعلّمهُ . واذ تعجّب بعض اصحابهِ من فعلهِ هذا اجابه قائلاً : «أرَيكتني أن اعلّمها شيئاً افضل من هذا الكتاب؟» . واضطرّ رصينهُ دالمبار (d'Alembert) ان يقول : « انّ اصدق الانتقاد يقرّ معترفاً بصحّة اسفار العهدين القديم والحديث «La critique la plus sévère reconnait l'authenticité des Livres de l'Ancien et du Nouveau Testament» ثمّ ينسبها الى الوحي الالهي «divinement inspirés»

ومن جميل ما نظمهُ فكتور هوغو في سموّ مقام الانجيل واحتياج الشعوب اليهِ وثبات البشر على درسهِ قولهُ :

Les peuples qui n'ont pas ce Livre le mendient,
Et vingt siècles penchés dans l'ombre l'étudient !

وفي خطابهِ الذي القاهُ هوغو في دار الندوة سنة ١٨٤٩ قد اختصر في كلام وجيز صورة سعادة الشعوب فقال :

« انَّ في نظام الهيئة الاجتماعية ميزانًا ذا كفَّتين ترجَحُ فيها كفَّة الغني على كفَّة الفقير . فانَّ اردتم ان يحصل التوازن بينهما ضعوا في كفَّة الفقير الاعتقاد بسعادة ابديَّة اسّسوا في قلبهِ الايمان بالسماء وبذلك تكون حصَّة الفقير مساوية لحصَّة الكبير . وهذا ما علَّمهُ المسيح في حياتهِ وكم كان يفوق علمهُ على علم فولتير ! . . اذا أمِنَ الفقير اليائس على آخرتهِ ووجَّه بآمالهِ الى العالم الآخر هدأ قلبهُ وسكتت مطامعهُ . فما عليكم الَّا ان تزرعوا الانجيل في كل القرى (Donc ensemencez les villages d'Evangiles)

فما من عجب بعد هذا إن رأينا نابوليون الكبير في منفاهُ الى جزيرة القديسة هيلانة يتسلّى بقراءة الانجيل ويخفض رأسهُ عليهِ اعظاماً واكراماً

وبتلاوة الانجيل ارتدَّ الى سواء السبيل الشاعر الملحد فرنسوا كوپه (Fr. Coppée) فقال عن نفسهِ :

« ها قد قُلب كبريائي . . . كنتُ استشعرتُ ريحَ الموت ثمَّ شعرتُ احتياجي الى حياة ابدية . فرتلتُ الانجيل بقلب سليم وبثقة تامة فسمعتُ الله يكلمني في كل كلمة من هذا الكتاب السامي نور الحقيقة . واليوم اني اعتقد كل ما يقوله من امر وحساب المسيح التي وردت لنا على صورة وتفاصيل تلوح من ورائها قوَّة الحقّ التي لا تُنكَر »

٤ الديانة المسيحيَّة ... الكثلكة

ليست الديانة المسيحيَّة سوى ثمرة الانجيل فالثمرة تشهد لصلاح الشجرة . وكما تصدَّى قوم من الملحدين ليزعزعوا الشجرة فلم يفلحوا كذلك حاولوا نزع الثمرة وقطعها فخابت آمالهم بل وُجد بينهم من يُذعن للحقّ ويُعلن بهِ . فمنهم ذاك النقَّاد الكبير تان (Taine) الذي جاهر بعدم اعتقاده للوحي . قال :

« انَّ النصرانية في يومنا تسعى في العالمين بعد تسعة عشر جيلاً سعيَ رُسُلها الجليليين الاوَّلين التبدل في قلب الانسان حبَّهُ لنفسهِ من حبهِ لقريبهِ . فانها في يومنا كذلك اشبه بجناحَي الطائر اللذين يرفعان المرء فوق نفسهِ فيفضلها برتقي اوبهما ملايين من البشر الى عالم الروح ويدفعان جمِّ الى تضحية النفس والتفاني في سبيل الخير العامّ . والتاريخ بيّنا في هذه القرون أن العالم يسير

الى الفوضى والاضمحلال اذا ضعف ذانك الجناحان او انكسرا. أما رأينا البشر في ايطالية في عهد ضعفها وفي انكلترة في زمن اصلاحها وفي فرنسة في ايام ثورتها كيف اندفعوا الى الوثنية وجروا على طباع اهلها في عهد اوغسطس وطيباريوس فسادت عليهم اللذات والجور . . . فان النصرانية وحدها دون الفلسفة والعلوم الادبية والتمدن والشرف العسكري والشرائع تقوى على ان تمنع الشعوب عن الهبوط الى دركات الذل والهوان »

ومن المرتدين الى الكثلكة بعد التجرد عن الدين الكاتب الشهير برونتيار (Brunetière) قال ما تعريبهُ :

« قد بالغتُ في الدرس وتعمقت في النظر واختبرتُ بمحن الحياة حلْوها ومرّها في زماني فما كانت نتيجة كلّ ذلك إلّا ان تفردني الى الكثلكة وتُرسخ بها قدمي. وان سألني احد عمّا أُومن به أحلتُهُ الى رومية مركز الحق »

ومثلهُ كاتب آخر من مشاهير العصر بولس بورجه (P. Bourget) الذي كان تطرّف في الغواية حتى انهُ دخل في مذهب المتمين الى ابليس (les Satanistes) المجاهرين بخدمته. فهذا بعد اللتيا والتي انار الله عقلهُ ورجع بالتوبة النصوح الى خالقهِ وأعلن بايمانهِ على رؤوس الملأ فكتب ما تعريبهُ :

« اني الآن مسيحي صادق فقد عرفتُ بالاختبار انّ الذين يحافظون على وصايا الكنيسة هم الذين ينجون من خلاعات العصر التي يصعب على سوامه الخلاص منها . . . اني على شبه كثيرين من ناشئة زماني خلعتُ نير الايمان . . . فكان مثالي وكتاباتي آفةً على من قرأها وهما أناديهِ اليوم علانيةً : ويحاً لمن ينزع الايمان المسيحي من القلوب فانهُ بفعلهِ يقتل الوطن. فالآداب العمومية تحيا بالدين المسيحي وتضعف بضعفهِ وتموت دونهُ »

وهذه الحقائق قد عرفها زعماء الشيع البروتستانيّة لمّا شقُّوا عصا الطاعة نحو الكنيسة. فهذا لوتاروس لمّا رأى ما سبّبهُ اصلاحهُ من الفتن والثورات اخذ يقرع سنّهُ ندامةً. واذ حرّضته يوماً كاترينا عشيقتهُ على التوبة صرخ قائلاً : « لاتَ ساعة ندمٍ » وقال مرّةً أخرى : انّ ديني اشهى للحياة امّا دين البابا فأفضل للممات » ولمّا رأى من يُقبل الى تعاليمهِ من سَفَلة الناس كان يقول : انّ البابا اذا قلع من بستانهِ اعشابهُ الباطلة زماها في بستاني »

ومثلهُ كالوينوس زعيم الشيعة الكالوينيّة كان يقول « ليس واحد من تبعة

الانجيل (يريد مذهبهُ) اتاني لغاية أُخرى إلّا ليفسح لنفسهِ المجال لاتباع شهواتهِ »

ومثلها ميلنكتون من كبار زعماء لوتاروس اذ انشدتهُ امّهُ الله أن يقول لها صريحاً ايمكنها ان تموت قريرة البال في المذهب البروتستاني فاجابها : «موتي كاثوليكية فهذا أسلمُ لك » وهو الجواب الذي سمعهُ هنريكوس الرابع ملك فرنسة قبل ارتدادهِ الى الكثلكة وكان سأل البروتستانت : ايمكن الخلاص في الكنيسة الكاثوليكية فاجابوا : نعم . بينما كان الكردينال دوپرون (Du Perron) يثبت لهُ انهُ لا يستطيع ان يخلص بثباتهِ في الشيعة بعد وقوفهِ على الحقّ . ومن ثمَّ عدل الى الكثلكة قائلاً : هذا الايمان اصدق لاتفاق الجميع على صحتهِ

وكثيرون من البروتستانت في عصرنا لم يمتالكوا عن اداء الاكرام للكنيسة الكاثوليكيَّة والاقرار بفضلها على سواها . منهم الوزير والمؤرخ غويزو (Guizot) فهو يقول في كتابهِ المعنون بالتأمّلات والدروس الادبيَّة (ص ٧١) :

« ان الكنيسة الكاثوليكية هي كبير وأقدس مدرسة لاحترام السلطة) وُجدَت الى يومنا في العالم . . . . . grande, la plus sainte école de respect qu'il y ait dans le monde... nous en avons grand besoin »

وقال في مقدّمة الكتاب المذكور :

« اني اؤدّي للكنيسة الكاثوليكية احتراماً عميقاً . واني اعتبر شرفها وحريّتها وسلطانها كفرض واجب وجوهري لكيان العالم »

وقال جول سيمون (Jules Simon) الفيلسوف الطبيعي في مقدّمة كتابه عن الدين الطبيعي :

مهما اخالت عليَّ شآمُ اعدائي وغضبَ عليَّ اصدقائي فاني لا استطيع ان أحيد عن خطتي في مسالمة الكنيسة . فكيف يمكنني ان احارب تعليماً يُعلن بتوحيد الله وبعنايتهِ تعالى ويدافع عن روحية النفس وحريّتها وخلودها ويكرّر هذه الوصية : « امنع لنبرك ما تشتهي ان يصنعهُ بك الغير » ويردّد كلام الانجيل « يا بنيَّ احبُّوا بعضكم بعضاً »

٥ سوابغ نعم الكنيسة الكاثوليكية

هذه النِعَم لا تحصرها المجلدات فلا يسعنا إلّا ان نروي بعض شواهد لأعداء الكنيسة

كان ڤولتير اذا رأى المشروعات الخيريّة غير المحصاة التي انشأتها الكنيسة الكاثوليكيّة في كل انحاء اوربّة يصرخ ويقول: «لعمري انّ هذه المستشفيات وهذه المؤسّسات الخيريّة أحرى ان تُدعى اقراساً لانتصار الكنيسة الرومانيّة». وقال في كلامه عن رهبانيّة الثلاثيين (les Trinitaires) المنشأة لفداء اسرى نصارى المستعبدين في الاسلام: «نِعِمٌ نِعِمٌ فانّ هذه الرهبانيّة منذ انشائها الى زماننا قد انقذت نحو مليون من عبيد النصارى. وكثيراً ما فكّ رهبانُها العبيد وقبلوا على عاتقهم رقّ العبوديّة عوضاً عنهم»

ودونك ما كتبهُ «تان» السابق ذكرهُ عن نِعَم الكنيسة نحو فرنسة:

«انّ اوّل اساس دولة فرنسة انما هو رجل الكنيسة وهذا الرجل هو الاسقف الذي بسلطته الادبية او [illegible] وما [illegible] قرى والمصاع. هو الراهب الذي فلح ارضاً وشيّد فيها الابنية. جمع المبعثرين وقاتم [illegible] هو ارشدهم الى بناء بيت ثمّ الى حراثة مزرعة ثمّ الى سكنى قرية وتحصين مدينة. فمن ينكر فضل الرهبان يُعرب عن جهل مطبق كما قال الفيلسوف الالماني ليبنس البروتستاني. ثمّ انّ الرهبان كانوا قبل الثورة الفرنسوية الكبرى يديرون ٢٥,٠٠٠ مدرسة ابتدائية لم تتكلف عليها الحكومة فلساً واحداً واليوم لا تكفيها الملايين لضبطها. وكان التلامذة المتخرّجون على يد الرهبان متأدبين محتشمين مطيعين لوالديهم ولحكام وطنهم بموجب ما تعلّموهُ من اصول الدين اما الدين. تربّوا على مبدإ «الاعلان بحقوق الانسان» فكانوا اشقياء متهجرفين متشدقين شرهي الطباع لا ينقادون لامر رئيس»

٦ البابويّة والكهنوت والمرسلون

هنا ايضاً اتت الشواهد اللامعة من افواه اعداء الكنيسة تثبت فضل البابويّة العميم على الهيئة الاجتماعيّة عموماً وتفوّقها على كل سلطة دينيّة

قال فكتور كوزان (Victor Cousin) يلوم الفلاسفة الروحيّين على بغضهم الكنيسة:

«إن لم يُعمِ الكبرياء عيون الفلاسفة المقرّين بوجود الروح وجب عليهم ان يعرفوا ان

الفلسفة الروحية تمثلها في العالم الديانة النصرانية . والديانة النصرانية تمثلها بنوع فائق الكنيسة الكاثوليكية ممثلة كل النظام العقلي والادبي . فعليها مستند كل الفلسفة الروحية القائمة في وجه الطبيعيين الملحدين »

وقد كتب الدكتور فُرستر البروتستاني (Forster)[1] احد اساتذة كليَّة زوريخ فصلاً جميلاً في الكنيسة الكاثوليكيَّة والخير الاعظم تقتطف منهُ الاسطر التالية :

« انَّ بناية الكنيسة الكاثوليكية تتجلَّى لنا في هذا الجيل العشرين باجمى مجالي وَحْدتها وروعتها وجمالها هازئةً بكل السلطات الارضية التي قامت تناهضها فلم تقوَ على ان تُقَوِّض اركانها

« قام القياصرة الرومانيون باضطهاداتهم الشديدة وقامت الهرطقات في الاجيال الوسطى ورومها الاصلاح (اللوتراني) الداعي الى التفريق . وكل هذه لم تَقْوَ على ان تُزعزع الصخرة الموطَّدة الاركان المبنيَّة عليها وحدة الكنيسة . وكان البابوات يشاهدون في اثناء تلك الاجيال من ذروة مقامهم السامي شعوباً تتطاحن وسلالات تضمحلّ فيقوم غيرها مكانها . عاينت الكنيسة اعداءها تطويهم القبور وكلُّ شيء حولها يزول وينفى وهي وحدها ثابتة في قوَّتها وبهاء شبابها الرائع . بل انفتحَتْ اليها شعوب الارض والتست حمايتها فاحتضنَتْها وشملَتْها بعطفها وحنانها ونشرت بينها التمدُّن . . . ولمَّا كفرتْ تلك الشعوب بنعمتها صبرَتْ على جحودهم وما لبثت ان فازت بهم بقوَّتها الالهيَّة . وثبت بطرس على صخرته لا يزال حيّاً في خلفائه . منهُ تستمدُّ الكنيسة مبدأ ومصدر وحدتها . وما حصل في عصرنا من الفتن والتمرُّد على ارباب الدول قد بيَّن للجميع ضرورة وجود سلطة منظورة سامية تتفوق بالحقائق الموحاة كسلطة الحبريَّة العظمى التي كادت في يومنا تحصر كلَّ السلطة الادبيَّة على مقدار ما ضمنت هذه السلطة في سواها »

وعلى مثال هذا الكاتب البروتستاني قام كاتبٌ اورثذكسي روسيّ وهو السيد « روزانوف » (Rozanof) الذي كتب سنة ١٩٠١ في اعظم جريدة في روسيَّة تحت هذا العنوان « السماوي والارضي » فقال مثبتاً من الانجيل والتاريخ سلطة البابا على كل النصرانيَّة . ومن كلامهِ ما تعريبهُ :

« انَّ كنيسة المسيح كهَرَم شاهق الطوَل ينتهي الى نقطة . وما هذه النقطة سوى بابا رومية الذي يملك على كلّ البناء فهو الراعي كما قال الرب يرعى الخراف والنعاج . وليست رعايتهُ هذه من نفسهِ بل أُعطيت لهُ من المسيح كما أُعطي الشاع رداء اليأس النبي . والعجب كلّ العجب انَّ اساقفتنا نقضوا اساس البيعة بنكرانهم على نائب المسيح سلطتهُ فبدلوا كلمة الانجيل « انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي » زاعمين انَّ هذه الآية لا تتضمَّن سلطةً تُعزى بطرس وخلفاءهُ

عن بقيّة البطاركة والاساقفة . وجعلوا ينسبون الى بابا رومية العظمة والكبرياء في تأييد سلطته السامية وهم لا يأنفون من ان يدّعوا لانفسهم سلطةً لم يُعطوها ويتيهوا ذواتهم مقام الباباوات . لعمري لقد ضلّوا سواء السبيل واضلّونا معهم! »

وكما اقرّ هؤلاء بعظم شرف البابويّة وسلطتها الالهيّة اقرّ الملحدون مراراً بفضل الكهنوت الكاثوليكي الذي يفوق على كلّ كهنوت سواه . كفانا شاهداً على ذلك قول رنان الجاحد الذي كان تربّى في مدرسة سان سولبيس فقال بعد جحوده :

« انّ مدرسة سان سولبيس هي قبل كلّ مدرسة فضيلة فان كهنتها يحرزون من الفضائل ما يكفيهم لسياسة العالم كلّه »

وقال عن كهنة وطنه ترغيار (Tréguier) :

« انّ هؤلاء الكهنة الافاضل كانوا مرشدي حياتي الروحية وان وُجد في شيء من الصلاح فالفضل يعود اليهم . فبهم عرفتُ معنى الفضيلة »

وبعد ان ناقض مدّة ثلاثين سنة تعاليم الكنيسة قال هذه الكلمات التي تخجل كل من يناوئ الكهنوت الكاثوليكي :

« اني بعد اختباري الطويل قد تحقّقت انّ ما ينسب الى الكهنة من الفساد لا أصل لهُ البتّة وقد اتذكّر اني عشتُ ثلاث عشرة سنة بين الكهنة فلم أجد شيئاً للائم المشكك فأُقرّ اني لم اعرف غير كهنة فضلاء »

ونختم هذه المقالة بما كتبهُ احد كبار الموظّفين من الكنيسة الانكليكانيّة في جريدة انكليزيّة يقابل بين المرسلين الكاثوليك والبروتستان متفكّهاً قال :

« اننا في كل سنة نجمع من اوربّة واميركة مليونين من الليرات الاسترلينيّة لمعاش ستة آلاف مرسل وثلثين الف عامل ومع هذه النعمة لا نكاد نجد مَن يتبعنا . وعلى خلاف ذلك انّ ما يُعزى من النجاح العجيب للرسالات الكاثوليكيّة انما هو في الغالب ثمرة التجرّد المطلق والفقر الاختياري وتوفيق المعيشة على معيشة البلاد التي تجري فيها البشارة . . . فان المرسل البروتستاني يُعتبر كرجل انكليزي محسن يفتح مدرسة بأسعار رخيصة ويحسن التكلّم ويخرج بامرأته واولاده الى النزهة

« فلو انّ القديس بولس قبل مباشرة اسفاره الرسولية طلب من القديس بطرس والجماعة

المتيسة في اورشليم ان يضمنوا لهُ ٣٠٠ جنيه سنوياً يدفعونها لهُ اقساطاً كل ثلاثة اشهر مرَّة وتأكَّد جودة المحلّ وموافقتهُ للصحة ووفرة اماكن التنزُّه فيهِ وذهب اليهِ مع امرأتهِ واولاده فلا شكَّ انهُ لم يكن لبُرجي منهُ ان يقلب وجه الارض ببشارتهِ »

هذه بعض شواهد نعرضها على القرَّاء ليروا ما للكنيسة الكاثوليكيَّة من المقام السامي في العالم. وقد اقتصرنا على شيء قليل ممَّا نستطيع ان ننشرهُ فتتسنى ان تمكننا الفرصة يوماً من الاتساع في هذه المواضيع التي هي عبرى ذات شأن لكل معتبر طالب الحقّ

الآداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ادباء المستشرقين من السنة ١٩٠٨ الى ١٩١٨ (تتمة)

﴿ المستشرقون الالمانيّون ﴾ خسرت المانية في هذه الحقبة عدَّةً من اعلامها المتازين بالشرقيَّات. نخصُّ هنا بالذكر الذين اشتهروا بالادبيات العربية . ففي ٥ من كانون الثاني ١٩٠٩ توفي الدكتور كرل فولرس (Karl Vollers) احد اساتذة كلية يانا (Iéna) في المانية ولد سنة ١٨٥٧ وتولى زمناً طويلاً ادارة المكتبة الخديويَّة في مصر عني بتنظيمها ووصف بعض مخطوطاتها في المجلة الاسيويَّة الالمانيَّة (ZDMG) وفي مجلة مصر . ومن تآليفهِ الحسنة كتابهُ في اللغة العربية العامية بين قدماء العرب بالالمانيَّة سنة ١٩٠٦) وكتابه عن اللهجة العربيَّة في مصر . وقد وصف بمجلَّد ضخم المخطوطات شرقية التي في مكتبة ليبسيك السوميَّة ونشر بالعربية والالمانيَّة ديوان المتلمس

وفي السنة المذكورة في ١٢ حزيران وقعت وفاة الاستاذ سجسمُند فرنكل (Sig. Fraenkel) اشتغل خصوصاً باللغويَّات العربيَّة منها كتابهُ في الالفاظ الآراميَّة